

الرَّسَالَة ٣١٧

على مَنْ نَبِكِي؟

(Arabic – Whom we have to mourn?)

أحبائي.. حديتنا اليومَ موضوعُ: على مَنْ نَبِكِي؟

ومن إنجيل لوقا الأصحاح الثالث والعشرين نقرأ العددين السابع والعشرين والثامن والعشرين:

"وتبع يسوع جمهوراً كثيراً من الشعب. والنساء اللواتي كن يطمئن أيضاً ويحنّ عليه. فالتفت إليهن يسوع وقال: يا بنات اورشليم لا تبكين علي. بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن".^١

يوجدُ بمدينة اورشليم طريقٌ يُسمى طريقُ الآلام. سُمّي بهذا الاسم لأنه الطريقُ الذي اجتاز فيه الربُّ يسوعُ بعد أن حكم بيلاطسُ الوالي البنطي على السيّد المسيح بالصلب. سارَ مُخلصُ العالم وفادي البشرية في طريق الآلام حاملاً الصليب. ولقد مضواً به إلى موضع يُسمى "موضعُ الجمجمة" ويُقال له بالعبرانية "جلجثة". شاركه في حمل الصليب رجلٌ يُسمى سمعان القيرواني. أمسكوا به وقد كان أتياً من الحقل ووضّعوا عليه الصليب ليحمّله خلف يسوع. كان المنظرُ مُريعاً لم يستطع الجمهور الغفير الذي كان يتبع الربَّ يسوع احتمالاً بشاعة الأعمال الوحشية التي كان الجنود الرومان يُعدّون بها هذا البريء الذي لم يعمل ظملاً ولم يكن في فمه غش. كان جسدهُ المنهكُ يهتزُّ مرتعشاً بينما السيّاط تنهالُ عليه بكلِّ عُنف. كان يتحرّكُ حاملاً الصليب على كاهله ساكباً للموتِ نفسه فديّة عن كثيرين كان كشاةٍ تساقُ إلى الذبح وكعجّةٍ أمام جاريها فلم يفتح فاه.^٢

في ذلك الموكب الحافل بالجماهير والجنود الرومان لتنفيذ الحكم الصادر عن بيلاطس الوالي. سارَ الكلُّ في صمتٍ رهيب لا يتخلله إلا عويلُ النساء وصرخهمن وهنّ يطمئن ويحنّ عليه. كانت أبصارُ الجميع رجالاً ونساءً معلقة به وليس بشيء سواه. تارة تجده أنظارهم نحو خشبة الصليب ويسوع يتربّح من قلبه يمينا ويسارا. وتارة أخرى تتساب دموع الموكب الحزين بغزارة حين تقع أبصارهم على جسده وقد سلخته وأدمته السيّاط المنهالة عليه بلا هوادة. وعلى خديهِ المطّخين بالدم من تأثير ليلة قضاها بطولها وقد أشبعوه فيها الجنود الرومان لظماً وبصفاً على وجهه. ثم بدأت صرخات النسوة في طريق الآلام تعلو وتعلو. وبدأ عويلهن يرتفع إلى عنان السماء حتى صمّ آذان الجماهير. التي كانت لا تتوقف أهاتهم وشهقات صدورهم المكومة وهم في ذهول. وفجأة صمّنت الحناجر الصارخة وأخذت ترنو الأذان صاغية بانتباه لصوتٍ مُتقطع. لم يكن ذلك الصوتُ غريباً عليهم. فقد كان صوتُ حامل الصليب الربِّ يسوع. وهو يخاطب النسوة النائحات المولولات. اللاتي مرّق الشجى قلوبهن. فاستمعن إليه وهو يقول: "يا بنات اورشليم لا تبكين علي. بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن".^٣

وبالتأمل في كلمات الربِّ يسوع التي وجهها للنسوة النائحات. وقد كانت آخرُ كلماته التي تفوه بها قبل أن يرتفع جسده فوق الصليب. نستطيع أن نستخلص منها ثلاث حقائق يا حبذا لو قرأناها بامعان. واستجبنا لقصد الربِّ السامي منها بروح الطاعة والإيمان:

أولاً: "بكاؤنا العاطفي لا يُجدي ولا نفع منه" إذا كنا نستعين بطول أناة الربِّ وصبره علينا.. تحضرنى قصة فتاة صغيرة جاءت يوماً إلى أمها وقالت لها: يا أمّاه. كلك جميلة. ولكن اسمحي لي أن أقول لك: يؤلمني جداً أن أتطلع إلى يديك. لماذا هما مشوهتان؟ أجابتها الأم: هل تريدين معرفة قصة يداي اللتين يؤذيك النظر إليهما؟ أجابت الابنة: نعم يا أمّاه. فأجابت الأم: كنت يا ابنتي طفلة صغيرة وقد حذرتك من اللعب بأعواد الثقاب. ولكن حدث يوماً أن فعلت ما نهيتك عن فعله فاشتعلت ثيابك. وحين سمعتُ صراخك وأنت تستغيثين أسرعْتُ إليك

استمع إلى الإنجيل

^١ إنجيل لوقا ٢٣: ٢٧ - ٢٨ ،

^٢ إنجيل يوحنا ١٩: ١٧ ، إنجيل متى ٢٧: ٣٢ ، إنجيل مرقس ١٥: ٢١ ، إنجيل لوقا ٢٣: ٢٦ ، سفر إشعياء ٥٣: ٩ & ٧

^٣ إنجيل متى ٢٦: ٦٧ & ٢٧: ٣٠ ، إنجيل مرقس ١٤: ٦٥ & ١٥: ١٩ ، إنجيل لوقا ٢٢: ٦٣ - ٦٥ ، إنجيل يوحنا ١٩: ١ - ٣

وأخذت أطفئ النار بكلتا يدي وأفدتك يا حبيبتى. إذا كان يؤلمك يا ابنتى قبح يدي المشوهتين. ولكن يسعدنى أنتى أنفذت ابنتى الغالية. فأسرعت الابنة تحتضن أمها. وتقبل اليدين المشوهتين والدموع تملأ عينيها وهى تقول: كلك جميلة يا أمه. وأجمل ما أراه هما يدك المشوهتان. قد نتألم لمنظر يسوع وهو يحمل الصليب. ونتمنى لو لم يحملة ذلك البار. ولكن لو عرفنا الحقيقة لهفتنا مع بولس الرسول مُرَدِّين قوله فى رسالته إلى مؤمنى غلاطية: "وأما من جهتي فحاشا لى أن افتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح". كفانا تأثرا عاطفيا بمنظر الصليب، إذا كنا ما زلنا نفتقر الحطية ونشرب الإثم كالماء. أحبائى: لنصنع ليقول بولس الرسول فى رسالته إلى مؤمنى رومية إذ يجذر بقوله: "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته؟ غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة ولكذك من أجل مساوئك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضبا فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة".^١

ثانيا: "بكاؤنا على أنفسنا نجدى وينفع" كى ننال مغفرة لخطايانا ولا نحسب من الهالكين.. قال الرب يسوع بانجيل لوقا الأصحاح الثالث عشر: "إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون". لقد انسابت دموع السيد المسيح فى بستان جثسيماني. وتساقط عرقه كقطرات دم على الأرض. قيل أن تنزف عروقه الدم الطاهر وتسيل على خشبة الصليب. كل هذا من أجل خلاص الخطاة من خطاياهم وإنقاذهم من الهلاك الأبدى. فإن كان الرب يسوع فعل ذلك من أجلنا فليتنا نحن الذين كل يوم نصلبه ثانية بأفعالنا الرديئة. نكي على أنفسنا عالمين أن أجرة الخطية هى الجحيم المعد لإبليس وملائكته. لئلا نأت إلى صليب محبته نادمين معترفين بخطايانا معلنين توبتنا لننال خلاصه وننجو من العذاب. كتب إشعياؤ النبي بالأصحاح الخامس والخمسين من سفره: "اطلبوا الرب ما دام يوجد ادعوه وهو قريب. لينرك الشريير طريقه. ورجل الإثم أفكاره. وليتب إلى الرب فيرحمه. وإلى الهنا لأنه يكثر الغفران".^٢

ثالثا: "بكاؤنا على أولادنا بتشفع نجدى" ويرحم الرب فلذات أكبادنا الضالين.. كم من شباب فى عائلاتنا خدعهم إبليس وأغواهم بالفساد. واحتال عليهم بالملذات والشهوات التى بدت فى أعينهم جذابة مستساغة لا عيب فيها. وإذا بهم يجرفون فى تيارها ثم أصبحوا عرقى العادات الذميمة التى أذمنوا عليها. أوليسوا فى حاجة إلى نذلنا أمام الله بالبكاء وذرف الدموع السخينة. وإلى انكسار القلب وانسحاق الروح أمام القدير؟ من أجل أولادنا الذين هم عماد حاضرنا وجيل المستقبل. لينتشله من الهوة السخينة لئلا تتلعثمهم. ونفقد أمن ثروة ليس ما يعوضها. ليتنا نصرخ بقوة إلى الله ليحررهم من قيود الإدمان بأنواعه المختلفة. كالتدخين والخمر والمخدرات وغيرها من الموبقات. لقد قال الحكيم فى أمثاله الأصحاح الثالث والعشرين: "يا ابنى أعطنى قلبك وتلاحظ عينك طرقى". وقال: "لا تنظر إلى الخمر إذا حمرت حين تظهر حبابها فى الكأس وساعت مرققة. فى الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان". وقال بالأصحاح السابع عن الخطية: "لأنها طرحت كثيرين جرحى وكل قتلها أقوياء".^٣

لقد وعد الرب باستجابة الضارعين إليه بأنه يرحمهم ويغفر لهم. فبالأصحاح الثانى من سفر يوثيل يقول الرب: "ارجعوا إلى بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح. ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة". لقد تحمل الرب يسوع كل الدينونة عنا بموته الكفارى على صليب الجلجثة. ولقد تنبأ إشعياؤ بالأم الصليب. فلقد استهل الأصحاح الثالث والخمسين من سفره بقوله: "لكن أحراننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا وهو مجروح لأجل معاصينا مسخوق لأجل أثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفيانا كلنا كعتم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا".^٤

عزيزى القارئ: أدعوك لتتشارك معى فى تلك الصلاة: أبانا السماوى.. أتى إليك معلنا حاجتى لشخصيك. أشكرك من أجل تدبير الخلاص والقداء الذى أعدته منذ الأزل. بتنازل الابن الوحيد ربنا يسوع. أتى إليك كما أنا فاختبرنى ربى واعرف قلبى. امتحنى واعرف افكارى. وانظر إن كان فى طريق باطل واهدنى طريقا أبديا. أرفع صلاتى فى اسم يسوع فادى. متكلا على وعدك الصادق. يا من قلت: من يقبل إلى لا أخرجها خارجا.

أخى القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك فى:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى غلاطية ٦: ١٤ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٢: ٤ - ٦
^٢ إنجيل لوقا ١٣: ٥ & ٢٢: ٤٤ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٦: ٢٣ ، سفر المزمير ٥١: ١٧ ، سفر إشعيا ٥٥: ٦-١٢
^٣ سفر الأمثال ٢٣: ٢٦ & ٣١ - ٣٢ & ٧: ٢٦
^٤ سفر يوثيل ٢: ١٢ - ١٣ ، سفر إشعيا ٥٣: ٤ - ٦